جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الدلالات الحضارية والنفسية للمكان، في رواية "الجبل" لفتحي غانم

إعداد
دكتور/ سامي Ma Jie
دكتوراه الأدب العربي
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

(العدد الخامس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. أكتوبر)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)

علمية- محكمة- نصف سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الدلالات الحضارية والنفسية للمكان في رواية "الجبل" لفتحي غانم

سامي Ma Jie

دكتوراه الأدب العربي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: basm.frwat.987.987@gmail.com

الملخص:

تقوم أحداث رواية "الجبل" لفتحي غانم في فضاء قرية صغيرة "القرنة" في البر الغربي لمدينة الأقصر في صعيد مصر، وتعرض الرواية موقف أهل الجبل، ومقاومتهم لفكرة التخلي عن حياتهم الجبلية والنزول للسكن في القرية النموذجية تبعاً للقرارات العمرانية في المجتمع المصري زمن الرواية، وتربط الرواية بين رفض الأهالي للقرية النموذجية الجديدة، وموقفهم الرافض للتمدن والحضارة، كما تعرض الرواية كثيراً من الدلالات النفسية الداخلية للشخصيات، والإيحاءات الشعورية المرتبطة بالمكان/ الجبل، وبالإضاقة إلى ذلك، فإن هذه الرواية تجسد الحالة الاجتماعية للبيئة العمرانية، فالرواية تعرض التأثير المدمر، الذي يمكن أن تحدثه القرارات العمرانية الجديدة على المجتمع، وتؤكد أن بناء مساكن جديدة للناس يحقق لهم السعادة. ولكن بالنسبة لهم، فالمساكن الجديدة ستقطع "رزقهم"، وستزيد من صعوبات حياتهم، وتتبع هذه الدراسة المنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي في دراسة الأحداث، والمنهج النفسي في دراسة الشخصيات، وكذلك الاستعانة بالمنهج الفني في دراسة التقنيات الفنية، وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج من أهمها: يشكل عنصر المكان في هذه الرواية بؤرة الارتكاز في العمل الروائي، والمحور الأساس الذي تدور حوله أحداث الرواية، يمثل الجبل/المكان لدى الأهالي: الرزق، وعلى ذلك فقد كان الارتباط الشديد بالمكان، ولذلك كانت مقاومة سكان الجبل لفكرة التخلي عن حياتهم الجبلية، ألقت الرواية الضوء

على الأوضاع الاجتماعية، والأحوال الحضارية لأهالي صعيد مصر زمن الرواية، كشفت الرواية عن أهمية التراث المصري الفرعوني، والدفائن الموجودة في جنوب مصر، عرضت الرواية الأبعاد النفسية لشخصية المصري الصعيدي، كما أبرزت الرواية اللهجة الصعيدية خلال الحوار.

الكلمات المفتاحية: رواية الجبل، المكان، الدلالات الحضارية، الدلالات النفسية، فتحي غانم.

The cultural and psychological connotations of the place in the novel “The Mountain” by Fathi Ghanem

Sammy Ma Jie
Ph.D. in Arabic literature, Faculty of Arts, Alexandria University, Arab Republic of Egypt.
Email: basm.frwat.987.987@gmail.com

Abstract:
The events of the novel “The Mountain” by Fathi Ghanem take place in the space of a small village “Al-Qurna” on the western mainland of Luxor city in Upper Egypt. The time of the novel, and the novel links the people’s rejection of the new model village and their rejection of urbanization and civilization. The destructive, which new urban decisions can cause to society, and confirm that building new homes for people brings them happiness. But for them, the new housing will cut off their "livelihood" and increase their life's difficulties. This study follows the historical and social approach in studying events, and the psychological approach in studying personalities, as well as using the artistic approach in studying artistic techniques, and the study has reached several results, the most important of which are: The place element in this novel constitutes the focal point in the novel work, and the main axis around which the events of the novel revolve, represents the mountain/place for the people: livelihood, and accordingly it was a strong attachment to the place, and therefore the resistance of the mountain residents to the idea of abandoning their mountain life, the novel threw Light on the social conditions and civilized conditions of the people of Upper Egypt at the time of the novel. The novel revealed the importance of the Egyptian Pharaonic heritage, and the burials located in southern Egypt. The

novel presented the psychological dimensions of the character of the Egyptian Saidi, and the novel also highlighted the Saidi dialect during the dialogue.

Keywords: The mountain novel, The place, Civilizational indications, Psychological indications, Fathi Ghanem.

المؤلف: فتحي غانم [1]:

فتحي غانم كاتب وأديب وصحفي مصري، اسمه بالكامل: محمد فتحي غانم، ولد بالقاهرة في ٢٤ مارس ١٩٢٤، لعائلة من الطبقة العاملة. وكان يعيش في القاهرة. تخرج في كلية الحقوق، جامعة فؤاد الأول، عام ١٩٤٤م، وعمل بالصحافة في مؤسسة روز اليوسف، ثم انتقل إلى جريدة الجمهورية أو مؤسسة دار التحرير رئيساً لمجلس الإدارة والتحرير، ثم عاد إلى روزاليوسف، حتى وفاته عام ١٩٩٩م عن خمسة وسبعين عاماً. وتقلد محمد فتحي غانم العديد من الوظائف[2].

كما نال عدة جوائز، ومنها:

١. جائزة الرواية العربية، بغداد، عام ١٩٨٩م.

٢. وسام العلوم والآداب، عام ١٩٩١م.

٣ـ جائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام ١٩٩٤م.

موضوع الرواية:

تتناول الرواية قصة حقيقية، حيث كان فتحي غانم يعمل مفتشاً بوزارة المعارف، وسافر إلى قرية "القرنة" في الأقصر، للتحقيق في أسباب

---

(١) فتحي غانم - ويكيبيديا.

(٢) رئيس تحرير صباح الخير من عام ١٩٥٩ إلى عام ١٩٦٦.
رئيس مجلس إدارة وكالة أنباء الشرق الأوسط، عام ١٩٦٦.
رئيس تحرير جريدة الجمهورية ١٩٦٦ وحتى ١٩٧١.
رئيس تحرير روز اليوسف ١٩٧٣ وحتى ١٩٧٧.
وكيل نقابة الصحفيين ١٩٦٤ وحتى ١٩٦٨.
رئيس لجنة التحكيم بمهرجان السينما للرواية المصرية، عام ١٩٩٠.
كما شارك فتحي غانم كرئيس للمؤتمر الثامن لأدباء الأقاليم بالعريش، عام ١٩٩٣.

امتناع أهالي الجبل عن تنفيذ أوامر الدولة والنزول من الجبل، إلى القرية النموذجية التي أعدتها لهم، وكان الأهالي يرفضون السكن في القرية النموذجية الجديدة، التي جهزتها لهم الحكومة المصرية، لأن عملهم مرتبط بالحفر داخل الجبل، واستخراج الكنوز والآثار القديمة.

وأحداث هذه الرواية، تعرِّف القارئ بمقاومة سكان الجبل لفكرة التخلي عن حياتهم الجبلية، والنزول للسكن في القرية النموذجية، تبعًا للقرارات العمرانية في المجتمع المصري آنذاك. وبالإضاقة إلى ذلك، فإن هذه الرواية تجسد الحالة الاجتماعية للبيئة العمرانية، فالرواية تعرض التأثير المدمر، الذي يمكن أن تحدثه القرارات العمرانية الجديدة على المجتمع، وتؤكد أن بناء مساكن جديدة للناس يحقق لهم السعادة. ولكن بالنسبة لهم، فالمساكن الجديدة ستقطع "رزقهم"، وستزيد من صعوبات حياتهم.

وهذه الرؤية ربما لم يفهمها المهندس المعماري، وربما لم يستطع أن يفهمها المسؤولون في ذلك الوقت(١)، لكن الكاتب، حاول أن ينقلها على لسان الذين يرون في المسكن شيئاً، غير الذي يراه المصمم والمسؤولون.

لقد كان البسطاء مصِرين على العيش كما يريدون هم، لا كما يُراد لهم، وهو الأمر الذي تُعاني منه كل مشاريع إسكان الفقراء، في جميع أنحاء العالم. وهذه الرواية وإن كانت تعرض بحيادية وصدق شديدين، موقف أهل الجبل، لكنها تبدو في النهاية، وكأنها تدين ذلك الموقف الرافض للتمدن والحضارة.

(١) محمود الدسوقي، كيف أنشأ حسن فتحي قرية القرنة الجديدة في الأقصر، بوابة الأهرام، الثلاثاء ٨ ديسمبر ٢٠٢٠م.

- فأحداث رواية (الجبل) تدور في فضاء قرية صغيرة عند منحنى النيل اسمها "القرنة" في البر الغربي للأقصر، ثم تتشكل وفق مسار الأحداث أماكن أخرى كثيرة؛ منها المفتوح ومنها المغلق.

ولا شك، أن المكان يتشكل من جميع الدلالات الملازمة له، والتي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور، إذ إن لكل عصر دلالاته ورموزه الخاصة والتي تتبعها تحليلات خاصة بذلك العصر وظروفه وثقافاته، فلكل عصر ثقافته ورؤيته الخاصة للعالم، وهو ما تسميه جوليا كريستيفا "أديولوجيم العصر"، فالمكان الذي يتلون بالحالة الفكرية الثقافية أو النفسية للشخصيات المحيطة به، وعلاقاتها الاجتماعية، مكان له دلالة تفوقُ دوره المألوف(١).

وأول الأماكن التي واجهت الكاتب في رحلته إلى الأقصر "معبد الأقصر" يقول غانم : "وفجأة راعني معبد ضخم، وممتد لمسافة طويلة ..الأعمدة الهائلة، والتماثيل الواقفة لملوك متوجين، وملوك جالسين، وكتل ضخمة، من الحجارة، متناثرة، كفتات خبز هائل الحجم تأكل منه الآلهة .. "(٢).

لقد انبهر الكاتب بذلك المكان الواسع الكبير، فاتسعت معه روحه، ثم عادت للانكماش من جديد. فالمكان بهذه الهيئة مخيفٌ، خاصة أن الأضواء خافتة صفراء وكأن أعمدة الإنارة "مضاءة بغير نور، كأنها مجرد لون أصفر وسط سواد الليل"(٣).

(١) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي. الطبعة الأولى ١٩٩٠م، ص ٧٩.

(٢) فتحي غانم، رواية الجبل، دار الآداب، ١٩٨٨م، ص ١٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧.

ثم يتجه نحو **الاستراحة التي سيبيتُ فيها**، "ووقفتْ العربة أخيراً عند بيت أنيق له حديقة ولا يبدو أن مخلوقاً داخله"(١). وهنا تقفز ثنائية المكان المغلق والمكان المفتوح في مكان واحد، فالبيت الأنيق يمثل المكان المغلق أما حديقتُه فتمثل المكان المفتوح، وهذه الثنائية تمثل التناقض أيضاً في الصعيد، فهناك العقول المفتوحة التي أنجبت العقاد وطه حسين والمنفلوطي والطهطاوي، ورجل باريس وزوجته ، وهناك العقول المغلقة التي أنجبت عمدة الجبل " وحسين على "وخُطَّ الصعيد".

وقد كشفت هذه الأبعاد المكانية، طريقة تفسير المؤلف للواقع الجبلي، بكل معتقادته وتراثه وفلكلوره ومخزونه الأسطوري، إذ نجده مزج بين الرموز والإشارات ليرسخ بها مدلولاته سواء بطريقٍ مباشرة أو غير مباشرة . انطلاقاً من عالم السحر والخرافة، يذكرنا بأسطورة إيزيس وأوزوريس وعودته للحياة مرتين، فالكاتب يريد أن يبرز لحظة الجهل، وعدم الوعي بالمكان من خلال هذه الصورة" لأن الإحاطة بالمكان هي بداية الوعي وبداية المعرفة، فهو مرتكزها الأول"(٢). ومن الطبيعي أن يكون الإحساسُ بالمكان مرتبطاً بنوعيته وعلاقته بالشخصية، فالتجربة المكانية هي التي تحدد المكان وأبعاده، وقد أكد باشلار في دراسته للمكان" على استكناه جميع الظواهر الحسية والشعورية والنفسية"(٣).

ولقد اكتسبت رواية الجبل لفتحي غانم خصوصيتها، وتميزها، من خلال المكان الذي أضفى عليها مزيداً من الاهتمام، رغم أنها الرواية الأولى للكاتب .

---

(١) السابق، ص ١٧.

(٢) عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية، كلية الآداب، ٢٠٠٣م، ص ٧٤.

(٣) ينظر، غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، بغداد، العراق ١٩٨٠، ص ٤٥.

إن ارتباط سكان الجبل بالجبل "المكان" في رواية "فتحي غانم" هو ارتباط الفروع بالجذور؛ فهم نشأوا في المكان فوجدوا آباءهم وأجدادهم، وكأنهم ورثوا المكان من عهد الفراعنة، فشكَّل المكان في نفوسهم عالماً من الحقيقة وآخر من الخيال، فهم يحلمون كل يوم بالكنز، بل الكنوز المدفونة، التي طالما وجدوها حققت لهم كل آمالهم، وأراحتهم من متاعب الدنيا، وانتشلتهم من الفقر إلى الغنى، من سكنى الجبل إلى سكنى القصور، حتى وإن كان بعيداً عن الجبل. وهنا تبدو المفارقة الغريبة، إنهم لن يبقوا في الجبل المتمسكين به، بل سيتركونه.

يقول فتحى غانم في رواية الجبل: "تقول واحدة من النسوة: ح نشتري بيت على الشط، وفدادين نزرعهم ونعيش عيشة الأشراف.

وتقول ثانية: ح ناكل اللحم، ونلبس الحرير، وننسلوا عيال شِداد.

وتقول ثالثة: أخويا كيفه أروح معاه سيوط . أخدم على مرته . دلوقيت ييجي معاها ياخد نصيبه م الكنز"(١).

والمفارقة الأخرى (أن الذين بنوا القرية النموذجية هم أهل الجبل أنفسهم)(٢).

وهذه المفارقة تكشف أمراً مهماً، وهو شدة الفقر، وتحكم المال في النفس البشرية. فهم يعانون الفقر، فلا عمل ولا مصدر رزق لهم إلا الجبل، فلما وجدوا فرصة العمل في القرية، التي لا يريدون النزول إليها، بل كانوا يحاربونها إلا أنهم نزلوا إلى العمل. كما أن من يجد كنزاً لايبقى في الجبل، بل يذهب إلى المدينة ويبنى القصور ويشترى السيارة. **وعلى ذلك فإن**

(١) فتحي غانم، رواية الجبل، ص ٤١، ٤٢، ٤٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٠.

التمسك بالجبل ليس تمسكاً بالمكان نفسه، بقدر ما هو تمسك بأسباب الحياة .

ومن الممكن النظر بعد ذلك إلى المكان من وجهة نظر فكرية، لأن المكان ليس محض مكان موضوعى محايد، وإنما هو مكان روائى فنى، يتم تصويره من وجهة نظر، ومن خلال زاوية رؤية، وعبر التفاعل مع الشخصيات والحوادث، وهو بذلك يحمل قيمة، أو يمثلها، أو يرمز إليها. فالأماكن دومًا تاريخها، والروائي معني بتقديم تاريخ المكان، وما مرّ به من تغيرات وتحولات.

لا شك أن الكاتب فتحى غانم استطاع أن يضع يده على مظاهر الحضارة الحديثة، التي خلت منها القرية، وكانت تتميز بها المدينة. ومن وجهة نظره أن الإنسان لا يختلف عن الإنسان إلا بالمكان فقد رأي في محطة القطار التناقض الغريب في الرجل الصعيدي وزوجته، اللذين تركا الصعيد وعاشا في القاهرة، هو في طريقه إلى باريس وهي في طريقها إلى أسيوط، ولكنهما متحضران في مظهريهما وأسلوبهما في الحديث "يمثلان الطبقة الغنية المثقفة في الصعيد .. يمثلان القمة في مجتمع يقبع فيه "حسين علي" الذي يشكو الحكومة بإسم أهالي " القرنة " والحرامية الذين يحرقون القرية النموذجية، ويقلبون الترولي"[(١)].

وقارن بين ركاب الدرجة الثالثة وتكييف الهواء في قطار واحد، "إنه الفارق بين السلة المملوءة بالشاي والسكر والبيض والملقاة بين المقاعد الخشبية .. وبين تلك الحقائب الجلدية الفاخرة المكتظة بالملابس الصوفية والحريرية، وزجاجات العطر، وأربطة العنق والأرواب دي شامبر .."[(٢)].

(١) رواية الجبل، ص ١٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥، ١٦.

الدلالات الحضارية للمكان:

تعريف الحضارة لغة: كلمة الحضارة مأخوذة من الفعل حضر،: الحضور: نقيض المغيب والغيبة، حضر يحضر حضوراً وحضارة، الأزهري: الحضرة قرب الشئ، تقول: كنت بحضرة الدار، وأنشد الليث:

فشلت يداه يوم يحمل راية إلى نهشل والقوم حضرة نهشل

ويقال: ضربت فلانًا بحضرة فلانٍ وبمحضره. والحضر: خلاف البدو. والحاضر: خلاف البادي. ويقال: فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية، وفلان حضري وفلان بدوي(١).

وجاء في معجم الأعلام أن الحضارة من الفعل حضر أي أقام في الحضر بخلاف البداوة التي تعني الإقامة في البادية ونقول تحضر البدوي أي تشبه بأخلاق الحضر وتشبه بأهل المدينة في جميع مظاهر الحياة الثقافية (٢).

ووردت في المعجم الفلسفي لمحمود اليعقوبي، على أنها تعني جملة الخصائص التي تميز الظواهر الاجتماعية في مجتمع أو عدة مجتمعات وتناقلتها الأجيال، وتطبع تصرفاتهم الدينية والخلقية والفنية والعلمية والتقنية بطابع الوحدة، وللتعبير عن هذا المعنى تقريباً. أما جميل صليبا فقد عرَّف الحضارة في معجمه الفلسفي باعتبارها تعني الإقامة في الحضر، بخلاف البداوة التي تعني الإقامة في البوادي(٣).

ويمكن القول إن الحضارة تعبر عن مدى ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكري والعقلي؛ من عمران ومعارف وفنون. وأول

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٩٦ ، ١٩٧.
(٢) لويس معلوف، المنجد في اللغة والاعلام، دار المشرق، ط١، ١٩٩٧م، ص ١٣٩.
(٣) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء ١، دار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٧٨م، ص٤٧٥.

من استعمل هذا اللفظ بهذا المعنى هو المفكر العربي "ابن خلدون" حين ميَّز بين العمران البدوي والعمران الحضري، وجعل لفظ حضر وحضارة مقابل بدو وبداوة، حيث تقتصر حياة البداوة على الأعمال الزراعية والرعي وتربية الحيوانات، لتحصيل ما هو ضروري لمعاشهم، أما الحضر فإن اشتغالهم بالصناعة والتجارة جعل مكسبهم أكثر من كسب أهل البدو وأحوالهم في المعاش زائدة وفائضة، على ما هو ضروري(١).

ويعرفها معجم Le petit larousse تعريفًا آخر لها إذ تعني مجموعة المميزات والقيم الشاهدة على درجة التقدم، لمجتمع إنساني مثل الحضارة اليونانية والرومانية والإسلامية»(٢).

الحضارة اصطلاحاً:

يرى ألبرت شفيتسر: أن الحضارة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماعات والجماهير على حد السواء، وهذا المفهوم للحضارة جاء به شيفستر كنقد للحضارة الغربية التي تهتم بالماديات، وغلبتها على الجانب المعنوي للحضارة. فوازن بين ما هو مادي وما هو معنوي في مفهومه هذا، ويرى شبنجلر أن الحضارة هي نفسٌ بلَّغَتْ التعبير عن ذاتها، بأشكال محسوسة معقولة، لكن هذه الأشكال هي حية متفتحة، وولود ويوجد رحمها داخل الكينونة المصعدة للأفراد والجماعات.

"ليست الحضارة شيئاً عظيمًا فقط، بل إنها بكليتها شيء لا يماثله أي شيء آخر في هذا العالم العضوي، فهي النقطة الواحدة التي يسمو عندها الإنسان بنفسه فوق الطبيعة، ويصبح هو نفسه خالقاً(٣).

---

(١) محمود اليعقوبي، معجم الفلسفة، مكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة غير موجودة، قسنطينة، ١٩٧٩م، ص٥٢.

(٢) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص٤٧٥.

(٣) الأخضر شريط، التغير الحضاري في فكر مالك بن نبي، مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ، جامعة الجزائر، ص٢.

– ويربط المفكر توينبي نشوء الحضارة واستمرارها "بوجود الدافع الحيوي الذي يعمل على تقدمها ونموها، حيث في غياب الرد أي الاستجابة على هذا الدافع تنهار الحضارة التي هي تفاعل ديناميكي، وليس ستاتيكي. لكن من الصعوبة بمكان قياس متغير الدافع الحيوي من مجتمع آخر"(١).

ويعرفها الدكتور "حسين مؤنس" بأنها ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته؛ سواء كان الجهد المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، سواء كانت الثمرة مادية أم معنوية(٢).

وتنشأ الحضارة نتيجة تفاعل الشعوب مع البيئة، التي تحيط بهم وينتج عنها الحضارة، والتي تساعد في تحسين ظروف المعيشة والنهوض بها، وتنشأ الحضارة في المجتمعات الكبيرة، والتي تكون مأهولة بالسكان، الذين يقومون بالعمل في الزراعة أو الصناعة.

ومن الدلالات الحضارية في رواية الجبل ذلك المشهد الذي وصفه المهندس للمفتش، ويروي المفتش ذلك يقول: "وأقبلنا على ساحة كبيرة وسط المباني .. فسكت المهندس وكأنه يتهيا نفسياً لتغيير موضوع الحديث ..

ـ هنا ساحة القرية. تجد فيها الجامع والمدرسة ودار العمدة ..

ثم قال .. وأشار بيده: وهناك السوق .. الخان ..

وقاطعته متسائلاً: قصدك آيه .. بالخان ؟ ..

(١) جمال بروال، مرجع سابق، ص٨.

(٢) كبيش عبد الكريم وعبد اللطيف بوروبي، إشكالية الصراع الحضاري في مرحلة العولمة (مقارنة نظرية)، مجلة الفكر،ع٣، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص٧١.

فنظر إليَّ في كبرياء وقال: إحنا في الشرق .. منعرفش اللوكندات .. إنما نعرف الخان اللي بينزل فيه التجار أثناء السفر . وأنا شخصياً أحب كلمة خان، وأفضلها على كلمة لوكاندة ..

وصمت فجأة .. وسرح ببصره إلى الأفق .. ثم أمسك بيدي في انفعال وهتف :

ـ أوه .. ياربي .. أو .. لالا.. شوف البنت اللي ماشية هناك بتعمل صورة جميلة على جدار الجامع .. بس ياخسارة كان لازم تلبس فستان برتقالي علشان الألوان تنسجم مع بعض ..

ودخلنا دار العمدة، " الذي صممه المهندس لينزل فيه عمدة الجبل " وشاهدتُ حجرة مكتبه، وحمامه الخاص، والتواليت الأفرنجي ذا السيفون، وحجرات نوم الضيوف ... كانت داراً فخمة، لا أظن أن أي عمدة يحلم بأجمل منها.

وفي الجامع، شرح المهندس مساقط الضوء وكيف تنسجم مع خطوط البناء وحركات المصلين .. وكأنهم لن يُصَلُّوا بل سيرقصون " باليه" على مسرح حديث الإضاءة ..

وفي المدرسة، وقف المهندس أمام بناء صغير، وقال لي بالفرنسية :

ـ هذه .. الكنيسة .. ثم استدرك قائلاً: أقصد الجامع

وفتح يديه في الهواء، فانفرجت عباءته، وأصبح له كيان ضخم، وقال في تأثر :

وجود هذا البناء .. يثير الرهبة في نفس الطالب .. كل المدارس الإنجليزية، لا بد أن يكون فيها كنيسة .. وفي مكان بارز .. علشان تكون رمز للتلاميذ..

وكنت أفكر في التطور الخطير الذي سيحدث في حياة أهل الجبل : ونحن نشاهد إحدى الدور المقامة لهم، وسألني المهندس: لاحظت حاجة في البيت ده ؟ ..

فأجبته : لاحظت أنه بيت جميل ..

فهز رأسه وقال: ده .. مكيف بالهواء البارد والساخن ..

ولم أصدقه .. ولكنه أشار إلى الجدران وقال: الجدران دي سميكة، تحفظ الحرارة داخل البيت في الشتاء ..وتحفظ الرطوبة في الصيف .. وكمان القبة اللي في سقف الحجرة تساعد على تكييف الهواء، لأنها تعكس أشعة الشمس .. القبة دي بيستعملوها الأهالي في أسوان، لكن مايعرفوهاش هنا .. ولافيش مهندس في الدنيا يقدر يبني القبة بالطريقة دي، لكن أهالي أسوان تحدوا المهندسين، وعرفوا يبنوها .. علشان كده جبت عمال مخصوصين من أسوان وعملوا سقوف القرية كلها بالقُبب

ومررنا بحظيرة كبيرة للمواشي والدواب . يجمع فيها الأهالي حيواناتهم ليلاً؛ حتى لاتنام معهم في نفس المكان الذي يرقدون فيه ..

وقال المهندس مشيراً إلى الحظيرة :

ـ دا الجاراج بتاع القرية .. كل واحد يسوق في آخر الليل حمارته أو جاموسته للجاراج ويسيبها، ويروح ينام في بيته النضيف"[١].

هكذا كان يرمي الكاتب من وراء هذا الوصف، إلى بيان ما يجب أن يكون عليه الإنسان، مهما كان نطقه سواء أكان ينطق القاف قافاً أو ينطقها جيماً، كما كانت تنطقها المرأة الصعيدية الأنيقة ذات العيون الزرقاء وهي تودع زوجها " متنساش (تجفل) البيبان والشبابيك مليح .. وتشيل (خلجاتك) في الدولاب (جبل) ما تمشي .. و(تجفل) الدولاب .. أوعى تنسى " كوبس " النور .. يعمل (حريقة) بعدين .. (نبجى) (نجولو) ياريت مينفعش"[٢].

(١) فتحي غانم، رواية الجبل، ص ٣٨.

(٢) فتحي غانم، رواية الجبل، ص١٥.

فليس من الحضارة أن يعيش الإنسان والحيوان في مكان واحد، لذلك خطط المهندس المدينة النموذجية بإبعاد حظيرة الحيوانات عن أماكن النوم. كما خطط للروح أيضاً فجعل فيها الجامع والكنيسة فهما أهم مظاهر الحضارة، بما يبثانه من تعاليم وقيم ومبادئ في نفوس التلاميذ، كما صُممت الحمامات بأسلوب حضاري؛ فيه السيفون والتواليت الأفرنجي، وهذه رؤية سبق بها الكاتب كتاب عصره، فلم يحفل أحد من الكتاب بالشخصية الصعيدية، ولم يتحدثوا عنها إلا بأنها نموذج للجهل والتخلف والثأر، وأنها مظهر من مظاهر السخرية، ولكن الكاتب تخطى حدود الفكر المنغلق رغم أنه من مواليد القاهرة، ولم يكن له جذور صعيدية حتى ينحاز له .

ومن مظاهر الحضارة في رواية الجبل الحفل الذى أقامه المهندس في افتتاح القرية يقول فتحي غانم : "وقرر المهندس افتتاح القرية، وإقامة حفل كبير تحضره وتشرفه الأميرة، ويستقبلها أهل الجبل، ويشكرون لها زيارتها لهم، وفضلها، وفضل شقيقها الملك عليهم، ببناء القرية الجديدة لهم ..

وفي صباح أحد الأيام، جاء المقاول كرسول من المهندس ليبلغ العمدة بنبأ الحفلة، ووافق العمدة على أن يتقابل أهل الجبل، مع الأميرة ويرحبون بها، وتساهل العمدة، ورضى أن يهبط مع رجاله إلى القرية النموذجية وألا يشترط ـ كما كان يريد في قرارة نفسه ـ أن تصعد الأميرة إليهم في جبلهم، وتزورهم في مساكنهم،...

– وجاء صباح يوم الاحتفال وقد أعد العمدة رجاله الذين سيرقصون بالعصي أمام الأميرة، واستعد مغني الجبل مع فرقته المكونة من عازف المزمار وعازف الأرغول والضارب على الدف .. وذهب بعض الرجال إلى القرية النموذجية، يستطلعون ما قام فيها من استعدادات، وإذا بهم يفاجئون بسيدات منتشرات في القرية، يلبسن ملابس بيضاء .. ومعهن قوة من رجال البوليس ..

وأمرت السيدات رجال البوليس، بأن يقبضوا على القادمين من أهل الجبل، ويدخلوهم في حمام أعد لهم، حيث قاموا بغسلهم بالماء والصابون، كما تغسل الجياد. ثم أخرجوهم من الحمام وقد رموا ملابسهم وأعطوهم "جلاليب" جديدة ذات لون واحد.. هو اللون الأبيض .. حتى أصبح الرجال، وكأنهم فرقة أخرى من فرق العساكر ترتدي الجلاليب"[١].

الدلالات النفسية للمكان:

يتصل الأدب والنقد الأدبي اتصالاً وثيقاً بعلم النفس، فالأديب في كل ما يصدر عنه من نشاط أدبي يستلهم تجاربه العقلية والنفسية، ولهذا فالأدب مرآة عقل الأديب ونفسه، والناقد يستعين بحقائق نفسية ذات مصطلحات خاصة، في تفسير بعض مظاهر الأدب وعناصره من الحقائق النفسية، التي يسري أثرها في نسيج الإنتاج الأدبي ويستعين بها النقاد؛ في التفسير والحكم على العمل الأدبي.

ومن هذه الحقائق النفسية: "الشعور، ما وراء الشعور، اللاشعور، والاستعدادات النفسية والدوافع، الإدراك الحسي، التصور، التخيل، تداعي المعاني، الحكم والتعليل والوجدان والانفعال والعاطفة"[٢].

فقد كشف علم النفس الحديث مواطن كانت خفية في عصور مضت، وأزال الغطاء عن الذات الإنسانية من داخلها، حيث برهن أن الفعل الصادر من الإنسان مهما كانت بساطته لا ينطلق من فراغ، وإنما له دوافع داخلية في توجيه الفهم والسلوك، خاصة في فعل الكتابة –لأنه الجانب الذي يعنينا في البحث – وقبل الحديث عن عملية الكتابة وأزمنتها، وأزمنة القراءة

(١) فتحي غانم، الجبل ص ٧٠

(٢) عبد العتيق عزيز، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م، ط ٥، ص٦١.

وأبعادها الداخلية نتعرض إلى عنصر نراه مهماً وهو التحليل النفسي وعلاقته بالأدب .

إن المنهج النفسي يستمد آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي، والتي أسسها "سيغموند فرويد" في مطلع القرن العشرين وفسر على ضوئها السلوك الإنساني برده إلى منطقة اللاوعي (اللاشعور)، حيث إن في أعماق كل كائن بشري رغبات مكبوتة، تبحث عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح لها ذلك، ولما كان صعبًا إخماد هذه الحرائق المشتعلة في لا شعوره، فإنه مضطر إلى تصعيدها أي إشباعها بكيفيات مختلفة كأحلام النوم، أحلام اليقظة، هذيان العصابيين، الأعمال الفنية.

كذلك يجب أن نتطرق إلى مفهوم السلطة أو الأحكام المسبقة، لما لها من دور في تجلي وظهور الزمن النفسي سواء عند المؤلف أم القارئ، والإنسان يعيش زمنه الاجتماعي متواصلاً مع الآخرين، وينصهر معهم في الحياة بما لديه من تصورات ومفاهيم للأفعال أو السلوكات، ويتواصل مع الآخر ويشاركه بما يملكه من خبرات ومعارف مسبقة، تملي عليه في كثير من الأحيان أنماطاً شبه جاهزة للفعل واللغة .

وعلى هذا الأساس نريد الإشارة إلى **الزمن الذاتي**، الذي يلعب دوراً مهماً في عملية الفهم والوعي والإدراك الخاصة بفن الكتابة (السرديات).

إن الحاضر مشحون بالماضي، كما أن الحاضر مشحون بتوقعات المستقبل، ولذا نجد أن الزمان لدى الإنسان في ديمومة واتصال واستمرار، وقد تختلف ذات الكاتب مع ذات القارئ في العديد من المحطات، نظرًا للمسافة الزمنية الفاصلة بينهما، فيكون ذلك فرصة أمام القارئ ليدخل في النص، ويوجه الفهم والتأويل حسب واقع النص الراهن؛ فأفق الفهم لا يتحدد بما أراده المؤلف أو بما خطر على باله، ولا يتحدد أيضاً بأفق المتلقي الأصلي الذي وجه إليه (le lecteur original) الخطاب آنذاك، ولا توجد

أية مشروعية لما يسمى بالقارئ الأصلي لأن (الإحالة إليه مثل الإحالة إلى المعنى الذي أراده المؤلف)[١].

ومن الملاحظ في رواية " الجبل" أن المكان يتفاوت ضيقاً واتساعاً، وقد يخترق الحدود ويجتاز السدود، **ولذلك دلالات نفسية عميقة وإيحاءات شعورية متنوعة.**

مما جعل الرواية تعتمد على الدلالات النفسية الداخلية، التي تقع في أعماق الشخصيات، فهي تبدو في الخبرات الإنسانية كما تحسها وتراها في الشخصيات في ضوء الأحداث، فتنعكس التحولات والأحداث على نفسية الشخصيات ومواقفها.

ولو نظرنا إلى رواية الجبل لوجدنا فيها الدلالة النفسية متناثرةً بين ثناياها وأحداثها، التي تنعكس حتما على شخصيات العمل الروائي، ولعلنا نلاحظ **الدلالة النفسية في موقف العمدة من موت زوجته مريم**، حيث إنه لم يستطع تحمل الصدمة، فتحطمت نفسيته، وأصبح يعاني معاناة شديدة جراء هذه المصيبة، وظل أياماً لا يخرج ولا يحدثُ أحداً، يقول فتحى غانم: "قضى العمدة تلك الأيام لاينبس بكلمة وقضى بعدها نهارين وليلتين لا ينبس بكلمة .. جلس مطرقاً، لا يتحرك ولا يشرب ولا يأكل ولا يتكلم .. وكأنه لا يتنفس.

وأول كلمة قالها العمدة، في فجر اليوم الثالث، زفر في ضعف، وخرج منه صوت غريب يكاد لايسمع : مريم .. استراحت ..

(١) هرمنيوطيقا النص الأدبي في الفكر الغربي المعاصر، ص ٦١ نقلاً عن:
H. Georg Gadamer , p. 242-243

وفقد العمدة سيطرته على أهل الجبل، كان يجلس بينهم كالأبله، أو كالطفل الصغير وهو يبكي، ومن حوله النسوة يندبن، وهو لا يقوى إلا على ترديد جملة واحدة " مريم استراحت"(١).

ويشبه موقف العمدة من الدلالات النفسية موقف "أبوحسين" من وفاة زوجته بالحمى، وكذلك دلالات فقد ساقيه، لقد كان لكلا الموقفين دلالات نفسية عميقة يقول غانم " أصبح " كحت " سرداب أبوحسين، بمثابة " كحت " في نفسه، نهش في لحمه وعظمه، تفتيت في أمله وحلمه، اقتحام وتطفل على حزنه الخاص الدفين، لزوجته التي ماتت .."(٢).

وتتأزم نفسية " أبوحسين " أكثر حينما يبدأ الكحت من جديد ويخشى أن يغدر به أهل الجبل، ويأخذون الذهب، لأنه عاجز لا يستطيع أن يقومهم. فنراه يعتمد اعتماداً كبيرًا على ابنه حسين الذي أصبح فأسه وذراعه وقدمه يقول فتحي غانم " وبدأ "الكحت " فعلاً في السرداب المهجور..

ولكن ظهرت خلال " الكحت " أعراض غريبة على " أبو حسين "، حتى خيل لأهل الجبل، أن الرجل بدأ يفقد عقله . كان صوته يرتفع فوق صوت المعاول وهي تفتت الصخر صارخاً: ـ يا حسين .. أبوك عاجز يا حسين ماتفوتش أبوك وحده يا حسين. ويجيبه حسين في دهشة: أفوتك كيف يا بوي

فيصرخ الأب في ألم حاد، ويزحف على يديه .. ويبحلق في الرجال بعينين ملتهبتين، ويشتمهم في حرقة: كلكم غدارين .. ح تخطفوا الدهب وتسيبوني وحدي هنا..

(١) فتحي غانم، الجبل، ص ١٠٥.

(٢) فتحي غانم، الجبل، ص ١٠٠.

فيرد عليه واحد من الرجال: ما " تجولش" كده يا أبو حسين .. دا إحنا كلتنا إيد واحدة ..

نفوتك كيف .. ياراجل عيب الكلام ده ..

ويضرب أبو حسين بكفيه فوق رأسه، ويلطم خديه مولولاً:

ـ أناعاجز .. مين ح يحملني .. أنا حملي تقيل أوعوا تفوتوني يا رجاله .. أوعوا تفوتوني"[١].

ومن الدلالات النفسية التي حملتها رواية الجبل " الإحساس بالظلم " فالمجتمع الذي يعيش فيه أهل الجبل، يكاد يكون معدماً من كل مظاهر الحياة الآدمية، فالحيوان يعيش مع الإنسان في مكان واحد، والجوع والحرمان يسيطر على أهل الجبل، في الوقت الذي تعيش فيه الأميرة مع أصدقائها في ترف وبذخ، فهي كل ليلة تسكر وترقص غير مبالية بشيء. يقول " كانت القرية النموذجية في حالة هستريا ..

الأميرة سكرانة، وحولها خمسة من الشبان الأمريكان،ومعهم المهندس وبعض رجال الآثار، وسيدات الجمعيات النسائية، اللاتي أشرفن في الصباح على غسل الفلاحين بالماء والصابون، وإلباسهم الجلاليب البيضاء الجديدة .. "[٢].

(١) المصدر السابق، ص ١٠١.

(٢) فتحي غانم، الجبل، ص ٧٢.

خاتمة بأهم النتائج

إن دراسة أبعاد المكان في رواية "الجبل" لفتحي غانم، تفتح آفاقًا عديدة للدراسة، مما يؤكد أهمية المكان في هذه الرواية.

وقد خرجنا بعدة نتائج لهذه الدراسة، نلخصها فيما يلي:

- يشكل عنصر المكان في هذه الرواية بؤرة الارتكاز في العمل الروائي، والمحور الأساس الذي تدور حوله أحداث الرواية.
- يمثل الجبل/ المكان لدى الأهالي: الرزق، وعلى ذلك فقد كان الارتباط الشديد بالمكان، ولذلك كانت مقاومة سكان الجبل لفكرة التخلي عن حياتهم الجبلية.
- ألقت الرواية الضوء على الأوضاع الاجتماعية، والأحوال الحضارية لأهالي صعيد مصر زمن الرواية.
- كشفت الرواية عن أهمية التراث المصري الفرعوني، والدفائن الموجودة في جنوب مصر.
- عرضت الرواية الأبعاد النفسية لشخصية المصري الصعيدي، كما أبرزت الرواية اللهجة الصعيدية خلال الحوار.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. **فتحي غانم** ، رواية " الجبل"، دار الآداب، ١٩٨٨م.

٢. **ابن منظور، محمد بن كرم بن علي أبو الفضل جمال الدين** ، لسان العرب، دار صادر، ط ١، المجلد ١٣، ١٩٩٠م.

٣. **جميل صليبا**، المعجم الفلسفي، الجزء ١، دار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت،١٩٧٨م.

٤. **الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد الحسيني**، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد المنعم خليل ٢٠٠٧ ، ج ٢٠ .

٥. **مجدي وهبة كامل** ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م).

ثانياً: المراجع:

١. **إبراهيم جنداري**، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، ط ١، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد، ٢٠٠١م.

٢. **أسماء شاهين**، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، ط ١، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن،٢٠٠١م.

٣. **بوترون رولاين**، عالم الرواية، ترجمة نهاد التكري، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٩١م .

٤. **تودوروف**، الأدب والدلالة، ترجمة د. محمد نديم خشفة، حلب: مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٦م.

٥. **جان ريكاردو**، قضايا الروايا الحديثة، ترجمة صياح الجهيم ، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٧م.

٦. **جيرار جنيت وآخرون**، الفضاء الروائي، ترجمة :عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٢م.

٧. **خليل رزق (دكتور)** ، تحولات الحبكة مقدمة لدراسة الرواية العربية ، ط١ ، بيروت : مؤسسة الأشراف للطباعة والنشر يناير ١٩٩٨م.
٨. **سحر شريف (دكتور)** ، دراسات نقدية في الرواية العربية ـ دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ٢٠١١م.
٩. **السعيد الورقي (دكتور)**، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.
١٠. **سيزا قاسم**، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٤م/ (بيروت: دار التنوير، ١٩٨٥م).
١١. **شاكر النابلسي**، جماليات المكان في المكان العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط ١، ١٩٩٤م.
١٢. **طه وادى**، دراسة فى نقد الرواية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.
١٣. **عبد الصمد زايد**، المكان في الرواية العربية، كلية الآداب، ٢٠٠٣م.
١٤. **غاستون باشلار**، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، ط٢/ ١٩٨٤م.
١٥. **فتحي عبد الفتاح**، القرية المعاصرة بين الإصلاح والثورة ـ دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٥م.
١٦. **لوتمان، يوري**، مشكلة المكا ن الفني، ترجمة، سيزا قاسم، مجلة ألف، العدد السادس ١٩٧٦م.
١٧. **محمد علي شوابكة**، دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف، مجلة أبحاث. اليرموك، جامعة اليرموك، الأردن. ١٩٩١م.
١٨. **مصطفى الضبع**، استراتيجية المكان، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر ١٩٩٨م، ص١٠٩.
١٩. **ياسين نصير**، إشكالية المكان في النص الأدبي: دراسات نقدية ١٩٨٦م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية :

1. The New Oxford : Judi Pearsall ;oxford University, Press; 1999, pp .1231-1232.
2. Narratology:Gerald Prince ,mouton Publishers; Berlin. New York. Amsterdam, 1982.
3. Story And Discourses; Chatman.

رابعًا: المجلات العلمية :

١. **إبراهيم جنـداري:** – الفضاء الروائي وإشكالياته، مجلة الأقلام ، العدد رقم٥٤، ٢٠٠١م.

٢. **كيبش عبد الكريم وعبد اللطيف بوروبي،** اشكالية الصراع الحضاري في مرحلة العولمة (مقارنة نظرية)، مجلة الفكر ،ع٣، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، د.ت.

٣. **محمد السيسي،** مقال بعنوان بوابة الحضارات . بوابة الأهرام - الثلاثاء ٨ ديسمبر ٢٠٢٠م.

٤. **محمود الدسوقي** ، كيف أنشأ حسن فتحي قرية القرنة الجديدة في الأقصر - بوابة الأهرام - الثلاثاء ٨ ديسمبر ٢٠٢٠م.

٥. **محمود حربي،** التغيير السياسي والاجتماعي لثورة ٢٢يوليو٢٠١٩، جريدة القبس.